المشرق

رحلة حديثة

الى الشيخ عادي والربان هرمزد

بقلم حضرة القس سليمان صائغ الكلداني الموصلي

في شمالي شرقي الموصل عدة جبال متتالية يفصلها عن بعضها وديان او انهار صغيرة يدعوها كتبة الكلدان جبال قردو ويسميها العرب جبال الهكارية وهي سلسلة جبال تمتد الى وان . وفي مشارف هذه الجبال وسفوحها آثار اديار وقرى عديدة كان يستوطنها قديماً الكلدان النساطرة ورهبانهم . وهي اليوم اراض باثرة واخربة مهيبة ينطق لسان حالها عن انتشار الدين المسيحي وعظمته في الاعصر الخالية . اما القسم المعمور منها فيسكنه حاضراً الاكراد واليزيديون وبعض المسيحيين المتفرقين بين قرى الاكراد وهم يرزحون تحت ثقل العبودية فيتصرف بهم اغاوات الاكراد تصرف المالك بملكه والسيد بعبده

ومن فروع جبال قردو جبل يُدعى بيت عذرا او باعسدرا يبدأ من سهل رهكان قرية صغيرة شمالي الموصل فيمتد من الغرب الى الشرق فيشرف على القوش قرية ناحوم النبي المبنية في لحفه ثم يسير تاركاً في جنوبه قرية بيت عذرا على مسافة ثلاث ساعات تقريباً ويتصل بجبل العمر لا يفصله عنه سوى نهر الخازر . ففي هذا الجبل اثران نفيسان تحرينا وصفهما في الاسطر التالية اعني الشيخ عادي ودير ربان هرمزد وبيت عذرا هذه التي بها دُعي الجبل المذكور قرية شهيرة في تاريخ الكلدان واقعة على مسافة نحو عشر ساعات شمالي شرقي الموصل وكانت سابقاً من اكبر قرى

لسقفية بيت نوهدرا من مطرنية حَدْياب (الوصل) . احتلّها في القرن الخامس الجاثليق آقاق وشخص اليها برصوما اسقف نصيبين ليقدم خضوعهُ لجاثليقه . وهذه القرية هي اليوم مركز الامارة اليزيدية واليزيديون يطلقون عليها وعلى ما يجاورها من القرى اسم الشيخان وموقعها في ارض فسيحة يكتنفها تلال كثيرة متّصلة بجبل صغير يمتدُّ مسافة اربع ساعات وينتهي شرقيَ عين سفني قرية مشايخ اليزيدية . ويسيح حول بيت عذرا نهر صغير يروي اراضيها ويشرف عليها قصرُ الامارة المبني فوق تلّ كبير شمالي القرية وهو قصر فخيم واسع الارجاء تلتفّ به جنينة غنّاء حافلة بانواع الاشجار والاثمار الجنيّة

وفي شمالي القصر طريق وعرة كثيرة الصخور ذات حزون وبطون اذا اقتصّ السائح آثارها تنتهي به الى خلف جبل بيت عذرا فيرتقي متوقّلًا الى اعاليه حتى اذا كاد ان يبلغ قمّتهُ يرى وادياً عميقاً في قعره ابنيةُ الشيخ عادي . فينزل اليه منحدرًا بين اشجار مخضلّة مشتبكة الاغصان الدانية الى الارض فيصل الى اعماق الوادي بعد ربع الساعة فيشاهد هناك منظرًا يأخذ بالابصار فيرى مباني الشيخ عادي في موقع جميل تشغل منفسح ذلك الوادي . وفي اطرافه من جوانب الجبل غرفٌ وحُجَر يأوي اليها حجّاج اليزيدية عند قدومهم الى هذا المقام . ويرى الداخل اليه عند الباب صخرةً عظيمة نابتة من الجبل يتدفّق من جرفها ماء زُلال يسيل الى ثلثة احواض واسعة يفيض منها في اقنية ومسارب فيتشعّب الى جميع دور هذا البناء الفخيم وهي عشرة ونيّف (انظر صور ابنيته ومدخله)

١ الشيخ عادي وآثارهُ

زرتُ هذا الاثر في ماء يوم من أيام التيظ الشديد وبلغتُ اليه عند مغيب الشمس اذ كان الفقير — وهو عندهم احد خدّمة دينهم — يعطّر الدور بالبخور ويوقد المصابيح في الكهوف اكراماً للملك طاوس الذي هو عندهم ملك الظلمة اعني ابليس خزاه الله يعبدونهُ رجاء ان ينجوا من شروره . فألفيت هذا المحل طيّب الهواء معتدل الحرّ مع وفرة مياهه والتفاف اشجاره المتلبّدة وموقعه في وَهْدةٍ من الجبل

واوّل ما يتبادر لذهن الناظر الى ذاك البناء انّهُ لا يَصلح الّا لقوم من النسّاك الذين ينفرُون من ضوضاء العالم فيحكم عند نظره انهُ دير قديم لسكنى الرهبان

فتلك الكهوف العديدة والتلالي المنقورة في الصخر حول الجبل وحول المعبد المشيد في وسط البنيان تمثل غيرهُ من الاديرة التي اقامها النصارى في الجبال المجاورة المتزلة عن الاماكن المأهولة . وكذلك المعبد فانَّ بناءهُ وهندامهُ على نسق كنائس النصارى في الاعصر الخالية . زد عليهِ ما يُرى على جدرانهِ في الداخل من الخطوط الكلدانيَّة بالقلم الاسطرنجلي وقد طُليت عمدًا او جهلًا فمع توالي السنين قد انقشع قسمٌ من هذا الطلاء وبرزت من تحتهِ بعض الحروف . وقد رأينا كتابات اخرى بالقلم العربي ورسوماً على جدرانهِ من الخارج وعلى بعض الجنادل ويظهر انها حديثة . قال الاب مرتان (Abbé P. Martin: *La Chaldée*. p. 38) : انَّ معبد الشيخ عادي كان قديماً ديراً آهلًا على اسم مار ادي رسول الكلدان واحد الاثنين والسبعين تلميذًا .

ومما ثبت عندنا استنادًا الى بعض منظومات يشوعياب مطران اربيل المعروف بابن المقدَّم ان مؤسِّسي هذا الدير راهبان من رفقاء ربَّان هرمز الفارسيّ في القرن السابع للمسيح . وكان ربَّان هرمزد المذكور ترهَّب في دير برعدتا (ܒܪܥܕܬܐ) شرقيّ كرميس على مسافة ساعة ونصف منها تقريباً وبعض ابنيتهِ باقية الى يومنا . ثمَّ خرج وبرفقتهِ ستَّة آخرون وهم ابراهيم ويوصاداق وشمعون وادُّونا ويشوعبران ويوحنا فشخصوا الى جبل بيت عذرا فوجدوا هذا الموقع العجيب البعيد عن العمران وبقربهِ عين ماء جارية فمكثوا هناك بضعة ايام ثمَّ افترقوا فسار ربَّان هرمزد الى القوش حيث اقام ديرهُ المعروف باسمهِ الى اليوم . وذهب يوصاداق وشمعون وادُّونا الى شمالي بيت عذرا فشادوا ديرًا في حيز تردو شمالي زاخو ترى الى يومنا آثار كنيستهِ مع بعض قلالي المنقورة في الصخر . وتخلَّف عنهم يشوعبران ويوحنا فبنيا في مكانهما وشيَّدا ديرًا فخم البناء وانتمى اليهما عدد عديد من الرهبان وكان المرضى من القرى المجاورة يقصدون هذا الدير فينالون الشفاء من عاهاتهم . ويستند الناظم في ذكر هذه المعجزات الى كتاب اخذتهُ يد الضياع يدعوهُ بكتاب الاخبار واستمرَّ هذا الدير عامرًا آهلًا بالرهبان حتى ظهر الشيخ عادي في اواسط القرن الثاني عشر فطرد رهبانهُ واغتصبهُ منهم . وهذا نص عبارته بحرفها :

ܟܕ ܐܬܬ ܠܒܬ ܡܢܙܠ ܕܡܪ : ܒܝܬ ܗܘ ܕܥܒܕܬ
ܥܒܕܘ ܟܬܒ ܠܟܬ ܕܡܢܙܠ : ܡܢ ܩܕܡ ܐܢܫ ܕܐܬ ܒܥܬ

وفي هذا الدير جملة : « فهذه هي الحقيقة عن هذا الدير الذي اقيم فيه الشيخ عادي وقد تبعهُ كثيرون من الاشياع والموالين وخضعوا لهُ فابتزَّ اموالنا واغتصب ديرنا وما زال هذا الدير يُعرف باسم الشيخ عادي في كل مكان الى هذا اليوم »

ومن هذا يستفاد انَّ الشاعر كان عائشاً بعد زمن قليل من هذه الحادثة اي في حوالي القرن الثالث عشر

أمَّا من هو هذا الشيخ عادي او عديّ فقد بحث في جنسهِ واصلهِ حضرة الاب انستاس الكرملي في مقالتهِ عن اليزيدية (اطلب المشرق ٣ [١٨٩٩]:٣٣-٣٦ الخ). ولابن خلكان عن الشيخ عدي كلام يوافق لما نقلناه عن ابن القدّم حيث يقول (في وفيات الاعيان ج ١ ص ٣٩٧) :

«سار ذكر الشيخ عدي (او عادي) في الآفاق وتبعه خلق كثير وجاوز حسن اعتقادهم فيه الحدّ حتى جعلوه قبلتهم التي يصلُّون اليها وذخيرتهم في الآخرة التي يعوّلون عليها. وكان قد صحب جماعةً كثيرة من اعيان المشايخ الصلحاء المشاهير مثل عقيل المنجي وحماد الدباس وابي النجيب عبد القادر السهروردي وعبد القادر الجيلي وابي الوفاء الحلواني ثم انقطع الى جبل المكاريَّة من اعمال الموصل وابتنى هناك زاوية ومال اليهِ اهل تلك النواحي كلها ميلًا لم يسمع لارباب الروايا مثله وقيل انَّ مولدهُ في قرية بنال لما جيء قار من اعمال بعلبك وتوفي الشيخ عدي سنة ٥٥٥ (هجرية اي ١١٦٠ ميلاديَّة) ودفن بزاويته وقبره عند اشياعه من الزيارات المقصودة والمشاهد المعبودة»

فنرى ان ابن خلكان يؤيد ما اورده ابن القدّم عن احوال الشيخ عادي كاجتماع الناس عليه وتجاوز اعتقادهم به الحدّ اذ ان اليزيديين يعتبرون الشيخ عادي الاهيًا يسجدون له ثم ذكر ابن خلكان شخوصه الى جبل بيت عذرا ويسميهِ جبل المكاريَّة لاتصال جبل بيت عذرا بجبل المكاريَّة (١ ثم اتخاذه زاويةً فيه وهي دير يشوعسبران ويوحنا حيث اجتمع عليه الاشياع العديدون وفي تلك الزاوية توفي سنة

١) البلاد المكارية او المكاريَّة هي قطعة من كردستان تتصل بحدود العجم وكاتب تديناً تخضع لامراء الموصل وحكمها . ولما آل امرها الى الحكومة العثمانية جعلتها ولاية مستقلة من خيرها ثم ألحقوها بولاية وان . ويحدُّها شرقاً بلاد العجم وشمالاً وان وغرباً سعرد وماردين وجنوباً الموصل المتصلة ببالها

١١٦٠ ميلاديّة ويُقال ان قبره موجود في المعبد المعروف باسمه اي الشيخ عادي وهو الدير المذكور الا ان اليزيديين لا يكشفونهُ لغيرهم وهو قبلتهم في صلواتهم واليه يحجُّون من البلاد القاصية

وبعد موت الشيخ عادي اقام حفدَتُهُ شعارَهُ واقتفوا آثاره وما زال الناس معهم على ما كانوا عليه زمن الشيخ من الاعتقاد والتعظيم المفرط حتى قُضي عليهم . وقد ذكر ابو الفرج ان شرف الدين محمد سبط الشيخ عادي الكردي من بلاد الموصل قتلهُ مع اصحابه اتكورك نوين التتري سنة ١٢٥٧ ميلاديّة (مختصر الدول لابن العبري ص ٤٦٦)

٢ دير ربّان هرمزد

دعنا الآن ايها القارئ اللبيب نبرح هذا المحلّ الذي اضحى اليوم معبدًا لارواح الظلمة ونسير غرباً بجذاء جبل بيت عذرا ونقطع مسافة خمس ساعات تقريباً . قبل ان نصل الى قرية القوش نرى في صدر الجبل بناء شبيهاً بشُرفةٍ يطلّ على وادٍ تحمد عند صخورهِ جلبة العالم فذاك دير ربّان هرمزد الفارسيّ . قال الاب مرقان في كتابهِ عن الكلدان يصفهُ بما تعريبهُ : « انَّ موقع دير ربّان هرمزد لمن اجمل مواقع الطبيعة بل هو احد الآثار النفيسة الفريدة اذ لا تجد لهُ نظيرًا لا شرقاً ولا غرباً وقد يضارعهُ موقعاً دير القديس سابا الواقع قريباً من اورشليم »

ويتألف الدير المذكور اوّلًا من كنيسة مبنيّة فوق صخرة عظيمة ناتئة من الجبل تُشرف على الوادي فيراها الناس من فرجته كأنها موطن الراحة ومربع الأمن تدعوهم اليها ليذوقوا فيها عذوبة السلام . ثمَّ بقربها اربع غُرَف وقلالي عديدة يتجاوز عددها الستين وكلها منقورة في الصخر ومعلّقة في ذلك الجبل الشاهق تلوح كأنها اوكار لانواع الاطيار التي تطرب الاسماع بتغريدها في تلك الآكام والوديان . وبين تلك الغرف والقلالي مراقٍ عجيبة تصلها ببعضها ثمّ تنفذ الى الكنيسة حيث كان الرهبان يجتمعون لتأدية الفرائض الدينيّة . واعجبُ ما يُرى هناك مائدة الرهبان وهي حجرة واسعة فسيحة مربّعة الشكل تبلغ مساحتها نحو خمسين متراً مربّعاً منقورة في صخرة واحدة في وسطها ثلاثة عواميد عظيمة ضخمة من الصخرة عينها .

ومنها ايضاً المقاعد والرفوف والكُوى . وفي هذا الجبل عدّة صهاريج منقورة ايضاً في الصخر بصناعة محكمة تجتمع فيها مياه الشتاء . على انَّ هـذا الاثر الفريد قد اصبح لطول العهد هدفاً للخراب ما لم يُسرع بعض المحسنين فيمدُّوا الى اهله يد المساعدة ليتلافوا امرهُ ويرمّموا خرابهُ

نُسب هذا الدير الى مؤسسه ربّان هرمزد الفارسي الاصل الكلداني النسطوري النحلة . وقد بلغتنا اخبارهُ واخبار ديره على يد كتبة مختلفين أقدمهم على ما يُقال شمعون الراهب احد تلاميذ يوصاداق الذي كان معاصراً لهُ . وقد نظم سيرة ربّان هرمزد كاتب اسمهُ سرجيس احد رهبان هذا الدير في حوالي القرن السابع عشر على نمط موشح ادوارهُ على عدد حروف الهجا . فيبتدئ كلّ دور باحد الحروف . والسيرتان قد نشرهما المستشرق الانكليزي وِلِس بودج (E. A. Wallis Budge) منهما نسخة في دير السيّدة للرهبان الكلدان قرب القوش وصفّهما ضمنهُ الهمجيّة التركيّة السيّد امّي شير في المجلّة الاسيويّة (J. As . 1906³,p. 63-64) . وممّن ذكروا ربّان هرمزد واطرأوا اعمالهُ يشوعدناح احد كتبة القرن الثاني عشر في كتابهِ العفّة .B. - J.) (Chabot : Le Livre de la Chasteté. p. 48 n° 88 ويشوعياب ابن المقدَّم السابق ذكرهُ وعمنويل الباجرمي (الكنز الثمين للقرداحي ص ١٤٢—١٤٤) وآدم العقراوي (فيه ص ١٠١—١٠٤)

فكل هؤلاء اطلقوا العنان ليراعهم ليشيدوا بذكر ربّان هرمزد ويطرزوا اعمالهُ نظماً ونثراً ما يدلُّ على عظم موقعهِ في نفوسهم . على انَّ في تاريخهم اقوالاً متضاربة وروايات ضعيفة يردُّها الانتقاد الصحيح نسبها اليهِ اهلُ ملّته دون تروٍّ فغروي منها هنا ما نراهُ اقرب الى الصواب

خلاصة سيرة ربّان هرمزد

ولد هذا الرجل البار في مدينة شيراز في القسم الثاني من القرن السادس من عائلة مسيحيّة عريقة في الشرف واليسار شهيرة بالاحسان الى الفقراء ثمَّ تنكّبَ في وطنهِ على درس العلوم . ولمّا بلغ العشرين من عمرهِ هجر بيت ابيهِ وتقبّل الى بقعة آثور المشتهرة يومئذٍ بازدهار دينها وانتظام ادبرتها العديدة . . وفكّر اوّلاً في السفر الى

اورشليم لزيارة الامكنة المقدسة . الا انهُ لقي في طريقهِ اذ كان في مدينة الموصل ثلثة رهبان من دير عدتا الشهير اشاروا اليهِ بالترهب في ديرهم فرضخ الى مشورتهم ورافقهم الى دير عدتا . فتبلهُ رئيسهُ ربّان سبريشوع وبعد الامتحانات المألوفة البسهُ الاسكيم الرهباني وضمّهُ الى مرؤوسيهِ وكان عدد الرهبان لا يقل عن ٢٦٤ راهباً

اخذ هرمزد يثابر بكل نشاط على سائر الاعمال التقوية والفضائل المسيحية حتّى برزَ في القداسة على كلّ اقرانهِ ونال بين اخوتهِ انتدح المعلّى في السيرة الرهبانية . وقد روى لهُ مؤرخو حياتهِ عدّة معجزات جرت على يدهِ من طرد شياطين وشفاء مرضى وآيات اخرى يرويها اهل القرى المجاورة لديرهِ الى يومنا هذا

وبعد ٣٢ سنة قضاها في العيشة النسكية . عاش منفرداً في محبسة قريبة من دير عدتا بمشورة سلوانس اسقف كردو ومارس كل التقشفات من صوم وصلاة وسهر مما يُروى عن كبار المتنسكين فشاع ذكرهُ في كلّ تلك الانحاء وتضاعفت كراماتهُ

وبعد سبع سنوات صرفها في محبستهِ اوحى اليهِ الله ان يذهب الى دير آخر يُعرف بدير الرئيس قريباً من قرية قتناء في قضاء العمادية . وصحبهُ الى الدير المذكور ستة رهبان سبق لنا ذكرهم فاقاموا معهُ في دير الرئيس ستّ سنوات بممارسة الآداب الرهبانية وبعد ذلك دعاهُ الله الى ان يبارحهُ ويتّجه الى جبل بيت عذرا فأوى هناك مدّةً في مغارة تُرى الى اليوم فما لبث ان انتشر عرف فضلهِ فقصدهُ الناس ليتبرّكوا بهِ ويطلبوا منهُ شفاء عاهاتهم فلبّى دعاءهم . وبلغ خبرهُ امير الموصل المسلم وكان ابنهُ مريضاً فأبرأهُ وقيل انهُ مات فأحياهُ فأتت من جرّاء ذلك الحسنات لربّان هرمزد واقطعهُ الامير ارضاً باشر فيها بتشييد ديرهِ الى أن انجز عملهُ وذلك نحو السنة ٦٤٠ للميلاد

. وقد جرت لهُ في اثناء ذلك مناصبات جمّة من قبل اليعاقبة الساكنين في تلك الانحاء فاضمروا لهُ الشرّ وحاولوا قتلهُ لكنّهُ انتصر منهم وسكن آمناً في ديرهِ فاقبل اليهِ الرهبان ليقتدوا بآثارهِ حتّى اناف عددهم على المئة . وعاش هرمزد في هذا الدير الجديد ٢٢ سنة فات في شيخوخة صالحة وبلغ من العمر ٨٥ عاماً

دير ربان هرمزد بعد عصره

بقي دير ربّان هرمزد عدّة قرون عامراً مزهراً مركزاً للسيرة الفضلى حافلاً بالرهبان

ومشاهير الرجال نبغ منهم علماء عاملون اشتهروا بفضلهم وتاليفهم وردَ في كتاب يوحنّا برخلدون احد رهبان هذا الدير في القرن العاشر ذكرُ نحو ثلثمائة منهم(١ . ومن احرز لهُ بينهم اسماً طيباً لاسيّما بسعيهِ لتجديد رابطة الولاء بين طائفة الكلدان والكرسيّ الرسولي يوحنا سولاقا احد رهبان دير مار هرمزد في اواسط القرن السادس عشر . وقع عليهِ الاختيار لتدبير البطريركيّة البابليّة بعد وفاة شمعون الخامس سنة ١٥٥١ فسار الى رومية حيث قدّم الطاعة للكرسي الرسولي واقتبل السيامة من البابا يوليوس الثالث فكان ذلك السببَ لقتلهِ اذ كادهُ النساطرة في ديار بكر عند عودتهِ فمات شهيد الايمان الكاثوليكي

وقد تقلّبت احوال هذا الدير بآفات الزمان وحيف السلطان لاسيّما في عهد تيمور لنك ثمّ في زمن الدول التركمانيّة اذ أُصيبت اقطار الموصل بضربة معضلة فكانت الاديرة اوّل ما يحتلُّهُ الاعداء وينهبونهُ ويضربون رهبانهُ . لكنّ رهبان دير ربّان هرمزد بعد هدوء الامور كانوا يسرعون فيعودون الى عيشتهم الصالحة . لنا على ذلك بعض الشواهد في مخطوطات الدير فانّ ربّان ايشوع احد كهنتهِ استنسخ كتاب الايثيقون سنة ١٧٢٢ برسم اخوتهِ . ومنهُ يستدلُّ على انّ الدير المذكور في ذلك العهد لم يزل مأوًى للنسّاك والزهّاد

وعندنا انّ خرابَهُ تمّ بعد ذلك بقليل في عهد طهماسب كولي خان ملك العجم المعروف بنادرشاه اذ اغار بجيلهِ ورجلهِ دفعتين اي السنة ١٧٣٢ والسنة ١٧٤٣ على الموصل وبلادها الى جزيرة بني عُمر فقتل النصارى وسبى النساء والصبيان ودمّر المدن والقرى وحوّل بقعة اثور العامرة الى اراضٍ قفرة يتعق البوم فوق اطلالها . ووضع يدهُ على الاديرة واخذ رهبانها بحدّ السيف ونهبها واخربها . من ذلك دير مار اوراهام المادي (٢ ولا يبعد عنهُ دير ربّان هرمزد فاصابهُ ما اصاب دير مار اوراهام وظلّ هذا الدير خراباً نحو ٦٥ سنة

---

١) اطلب كتابهُ المنشور في مجلّة المشرق المسيحيّ J. B. Chabot: Vie du moine Rabban Bousnaya, *ROC.* 1897-1898

٢) هذا الدير واقع قريباً من قرية بطايا وبقي مهجوراً خراباً الى ان عاد غبطة السيّد الجليل مار يوسف عمّانوئيل توما بطريرك الكلدان الكلّي الطوبى فجدّد ابنيتهُ وتكلّف عليهِ النفقات الباهظة ليجعلهُ مركزاً للكهنة لكافة القرى المجاورة ثمّ مدرسة داخلية راقية للعلوم والصنائع مع مطبعة لخدمة ملّتهِ

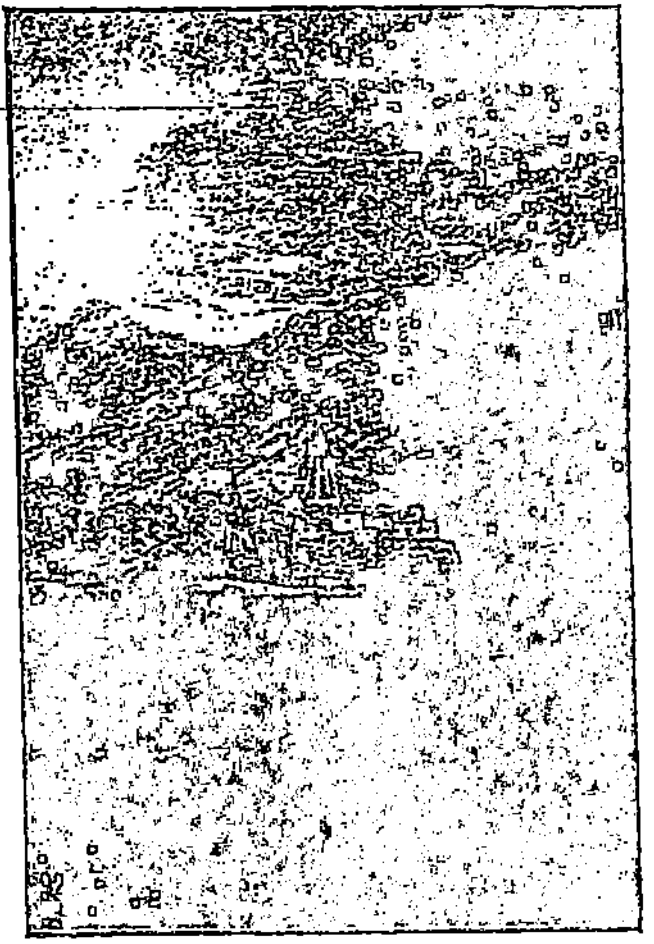

وادي الشيخ عادي ومنظر ابنيتهِ

(عن صورة للرحّالة لِيَّار)

مدخل معبد الشيخ عادي (عن صورة للرحّالة بودج)

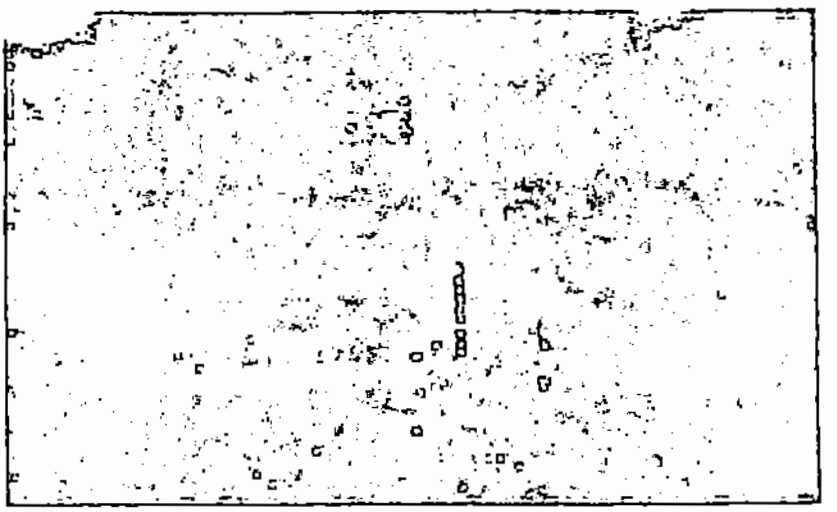

معبد الشيخ عادي في داخلِه (عن صورة للرحّالة بودج)

تجديد دير ربان هرمزد

كان تجديد دير ربّان هرمزد في اوائل القرن الماضي سنة ١٨٠٨ على يد رجل كلداني كاثوليكي من تجار ماردين واشرافها اسمهُ جبرائيل دنبو فهذا اذ كان يزاول في حلب امور التجارة اجتمع فيها برهبان الفرنج فشعر بدعوة من الله الى ان يقتفي بآثارهم فطلب الترهب بينهم الّا ان احدهم اشار اليهِ بان ينهض في وطنه العيشة الرهبانيّة ويدعو اليها اهل جلدته . فكانت تلك المشورة لهُ كصوت الله لكنهُ لم يدرِ كيف يتممها . ثمّ واصل اشغالهُ التجاريّة الى أن ادّت بهِ الى البصرة وهناك اصيب بمرض عضال كاد يودي بحياته فنذر نفسهُ لخدمته تعالى وآل على ذاته ان شفي لمزينتي رهبنةً لخلاص النفوس . فخفّت عنهُ وطأة المرض وعوفي تماماً بعد ايام قليلة فودّع العالم وحطامهُ وشخص الى لبنان حيث قضى بضع سنوات في دير القديس انطونيوس قزحيّا حتى اتقن قوانين الرهبنة ثمّ عاد الى الموصل ليخرج فكرهُ الى حيّز الوجود تحت راية القديس انطونيوس وقانونهِ الذي ثبّتهُ الكرسيّ الرسولي بعد ذلك لرهبان دير ربّان هرمزد سنة ١٨٤٤

فلمّا وافى جبرائيل دنبو الى الموصل انضمّ اليهِ بعض الاتقياء ليجروا على مثالهِ . ثم حظي بملاقاة مار يوحنّا هرمز مطران الموصل وطلب منهُ ان يعطيهم دير ربّان هرمزد ليجدّدوا فيهِ الحياة الرهبانيّة وعضدهم في طلبهم الابوان الدومنيكيان رافائيل ويوسف الّا ان السيد المطران تمنّع من ذلك لئلّا يخرج الدير من سلك العائلة الابويّة التي منها وحدها كان يقوم البطاركة والمطارين وكان صحبهُ قد ضبطوا املاك الدير واستخفّوا لنفسهم ريعها

فالتجأ جبرائيل اذ ذاك مع رفقتهِ الى حنانيشوع مطران العمادية الذي كان دير ربّان هرمزد واقعاً في ابرشيّتهِ وهو ايضاً من العائلة الابويّة فاغتنم هو مفتتح الدير . فلأ الفرح قلوبهم وشكروهُ تعالى على هذه النعمة

ولمّا كان يوم الثمانين سنة ١٨٠٨ خرج دير ربّان هرمزد من سُباتهِ العميق وتجدّدت فيهِ حياة رهبانهِ الاقدمين بشخص الفاضل جبرائيل دنبو ورفقتهِ واخذ الطلبة يتواردون اليهِ من القرى المجاورة ليتضوروا على نسّاكه . وكانت حياتهم

الصالحة تحبيبهم الى قلوب الجميع وهم يعيشون في الفقر والنظف من حسنات المؤمنين لا يكترثون لامور العالم الا لخلاص القريب بامثالهم وارشاداتهم . فقضوا هناك ثلث سنين بممارسة كل الفضائل المسيحية . وكانوا في ايام الآحاد والاعياد يتزلون الى ألقوش لحضور الرتب الكنائسية . وكان جبرائيل رئيسهم لم يزل شمّاساً فاضطروه الى ان يقبل الكهنوت ويصير مرشدهم فسامه المطران سمعان كاهناً سنة ١٨١١ فما لبث ان غا عدد رهبانه حتى تجاوز الخمسين بينهم الكهنة والاخوة الشمامسة

غير انّ الاعمال الخيرية التي تنشأ بدافع ربّاني كثيراً ما تعارضها الصعوبات وتعتورها العقبات ليُظهر الله قوّته بظفرها على كلّ اعدائها ويزيد اصحابه ثقةً به تعالى . وهكذا جرى لهذا المشروع الجليل فان بعضاً من ذوي الاغراض والمطامع ادركوا ان املاك الدير واوقافه اوشكت ان تخرج من ايديهم لازدياد عدد الرهبان وميل عامّة الشعب اليهم واخذهم بناصرهم فحاولوا غير مرّة ان يُخرجوا الرهبان من الدير بالمكر والخداع والتهديد فلم يبلغوا غايةً . فعمدوا حينئذ الى استعمال العنف والشدّة فالتجأوا الى حاكم العمادية وشكوا اليه الرهبان كمغتصبين لمال غيرهم فارسل الحاكم بعض رجاله الى الدير فاهانوا الرهبان سبًّا وضرباً ثمّ انزلوهم منه وألقوا الاب جبرائيل في السجن . اما الرهبان فلبثوا في كنيسة القوش مثابرين على دعوتهم وعلى سائر فرائضهم التقوية

وفي تلك الاثناء اصاب مطران العمادية حمّا ينشوع مرضٌ شديد حسبه عقاباً من الله لنفي الرهبان من ديرهم فلمّا احتضر اوصى ذويه بهم وامرهم ان يسلموا مفاتيح الدير الى الاب جبرائيل فانفذوا وصيّته بعد موته

الّا انّ عدوّ الخير لم يدعهم في خلوتهم السعيدة يمجدون الله مع الملائكة فان المصائب ما زالت تتناوبهم الواحدة تلو الاخرى . منها ان محمد بك امير راوندوز المعروف بيركور قدم الى الموصل سنة ١٨٣٢ قاصداً ان يستولي عليها ولما خاب مسعاه في ذلك اخذ يطوف بعساكره بين القرى المجاورة وينهب ويقتل حتى اقبل الى القوش قرية ناحوم النبي فنهبها نهباً فاحشاً ثم اعمل فيها السيف وقتل كبارها وصغارها ولم ينجو من سيفه الا القرّ من الذين لاذوا بالهزيمة الى الجبل المجاور ثم قصد رجاله دير ربان هرمزد فنهبوه نهباً ذريعاً وثاوروا رهبانه بالخناجر . وفي هذه الفاتحة قُتل مؤسس

الرهبنة او مجدّدها الاب جبرائيل دنبو فاختضبت تلك الاراضي بدم الابرياء . وتلقى دميانوس الاقوشي قصيدة ضافية الابيات في اللغة الكلدانية يصف ويلات تلك الكارثة ومظالم الطاغية ميركور (١

رهبانه وبر ربانه هرمزد بعد وفاة مؤسسهم

وبعد هدوء هذه الزوبعة المائلة عاد الرهبان الى ديرهم فألفوه منهوباً مهدوماً فشرعوا يرممون الاخربة التي سببها اولئك الغشمة واخذوا يزاولون الاشغال الشاقة ملاقاةً لمعيشتهم وامّلوا ان غيوم الاضطهادات انقشعت لكنّ امتحانهم لم يكن قد انتهى بعدُ فان اولئك الارباش كالذئاب الضائرة لم يشبعوا من التنكيل بهم وقد يسمح الله تعالى للاشرار ان يكونوا آلة لامتحان الابرار لتظهر فضيلتهم كالبدر في الليلة الظلماء فتزداد مجداً وبهاء

كان رهبان هذا الدير متقدين بغيرة رسولية على الايمان الكاثوليكي وكانوا يسعون سعياً لا يعرف ملالاً في سبيل نشره وتركيز اعلامه بين ظهراني قومهم . فقاسوا في جهادهم مشقّات شتى ولاقوا اهوالاً تشيب لها الاطفال

ان اعداء الكثلكة الألدّة اصحاب الخزازات كان يسوءهم تقدم الدير ونجاحه وقد رمدت اعينهم الحاسدة بما رأوه من هولاء الرهبان القائمين برجه الشرّ فحملوا عليهم بجيش من الاكاذيب والاراجيف وشكوهم الى الحكّام ورشقوهم بنبال الافتراءات واطمعوهم بغناهم وثروتهم الطائلة مع ما هم عليه من الفقر اذ لم يكن لهم الّا القوت الضروري فقاسوا من حكام العمادية الاكاد الظلمة انواع العذابات المبرّحة من حبس وضرب واغتصاب الى غير ذلك ممّا يطول شرحه

وفي سنة ١٨٤٢ عصى اسماعيل باشا احد امراء الجبل على محمد باشا اينجه

---

١) قد كتب بالكلدانية الاب البشاع احد رؤساء رهبان ربان هرمزد اخبار الدير منذ دخله الاب جبرائيل دنبو ورفقتهُ سنة ١٨٠٨ الى سنة ١٨٣٢ اذ قتلهُ محمد باشا والي راوندوز . ومن تاريخهِ هذا نسخةٌ في مكتبة ذلك الدير وعنها نُقلت نسخة مكتبتنا الشرقية التي ترجمها الى الفرنسوية المسيو موريس بريار (Maurice Brière) ونشرها في مجلة الشرق المسيحي في بعض اعداد السنتين ١٩١٠ و ١٩١١ (ROC, XV, 1910, p. 419-424, et XVI, 1911, 115-128, 249-255, 345-356)

ل . ش

بيرقدار والي الموصل مستقلاً بحكم العادية فانتشبت بينهما حرب عوان دارت دوائرها على اسماعيل باشا فتفرقت جموعه شذر مذر. ثم عاد فلمّ شعث رجاله واقبل بهم قاصداً الموصل فلمّا وصل الى قرية القوش هاجَ عليها كالاسد الزائر ونهبها وقتل من اهلها نفراً غير يسير ثم انفذ رجالاً فكبسوا الدير والقوا القبض على الرئيس الاب حنا الذي خلف المؤسس الاب جبرائيل دنبو واوثقوه مع بعض رهبانه ولاذ غيرهم بالهزيمة الى الجبل. وبعد ما فرغ اسماعيل باشا من نهب القوش صعد الى الدير بصحبة احد المعادين لاهله ليدلّه على الخبايا المزعومة والخزائن الموهومة فامر اسماعيل باشا باحضار الرهبان الموثقين ومثّل بهم من تباريح العذاب ضرباً وكيّاً بالنار الى غير ذلك

ثمّ سمع بقدوم عساكر الموصل فخاف ان تحتاط به وتمسكه فنهب ما وجده في الدير من اثاث وآنية كنائسية واستاق معه الرئيس والرهبان مكبّلين بالاغلال الحديدية الثقيلة وسار بهم الى العمادية حيث توفي في السجن الاب حنا الرئيس لشيخوخته ولما اصابه من التعب واللغوب والضرب العنيف اثناء الطريق والبقية لبثوا في السجن حتى هدأت القائلة بانكسار اسماعيل باشا فأفرج عنهم. ولم تكن هذه الضربة الهائلة قادرةً على تشتيت شمل الرهبان وزعزعة اركان امالهم الوثيقة بالله تعالى فانهم بعد انقشاع هذه الغيوم وبزوغ شمس الامن عادوا الى ديرهم فانفسح لهم المجال الواسع للشغل في كرم الرب فاشتغلوا واقلحوا واحرزوا للكنيسة من اتعابهم ثمارًا جنيّة

فضل رهبانة دير ربان هرمزد على الدين والوطن

ان الفوائد التي اتت من رهبان هذا الدير بعد تجديده هي جمّة منها :

اولاً اصلاح حالة الاكليروس الذي كان تمّ قد انحطّ انحطاطاً محسوساً فكان الكاهن المتزوّج ينشغل في امر معيشته وتدبير بيته صارفاً وقته في مهنة او صناعة طلباً للمعاش وقلّما كان ينصرف الى القيام باعباء وظيفته الكهنوتية فنتج من ذلك ان الجهل لم يشمل فقط الشعب من العلمانيين بل تعدّى الى القسم الاعظم من الاكليروس نفسه. نقول هذا عن زمن البطاركة الايرتيين اي قبل ان يتخرج الكهنة في المدارس الكهنوتية فكان الكاهن لا يعرف من علم الدين النظري والادبي الا

بعض المبادئ الاوّلية مع تلاوة الفرض والقداس الالهي ولهذا كان الشعب مهملاً في التهذيب الديني . فلما نشأ رهبان هذا الدير انصبّوا على مطالعة الكتب والدروس وعكفوا على ممارسة الفضائل ثم خرجوا وتفرّقوا في البلدان وبثّوا مبادئ الدين القويم وافتتحوا المدارس لتعليم الاحداث وهذا ثابت مما يُذكر عن بعض كهنة هذا الدير وما كان لهم من التأثير الجميل في نفس الشعب الى اليوم كالقس رومانوس والقس دميانوس والقس باسيليوس وغيرهم كثيرين

ثانياً ان رهبان هذا الدير سعوا في الغاء قاعدة تقليد المنصب البطريركي لافراد العائلة الابويّة اذ كان رجال هذه العائلة يتشمّون السدة البطريركيّة تراثاً خلفاً عن سلف بصرف النظر عن كفاءتهم واهليتهم لها في ادارة الشؤون . وليس ذلك فقط بل كان البطريرك الابوي يقيم المطارين من المقرّبين اليه من عائلته ويسلّمهم الابرشيّات المهمّة واذ كان اكثرهم من الذين لا كفاءة لهم نتج انهم تركوا الامور على عواهنها حتى فسد حال الطائفة وتولّدت فيها النزاعات التي ساقت الشعب الى القلق واختلاق الاحزاب . فلمّا نبغ رجال هذا الدير وامتازوا بعلوماتهم وفضائلهم وعُرفوا بسياسة الشعب وتدبيره على اصلح مبادئ الدين الكاثوليكي مال الناس اليهم كل الميل ورشّحوهم الى المطرنة حتى اشتهر من مطارينهم في وقت واحد تقريباً المطران لورنسيوس شوعا والمطران يوسف اودو والمطران باسيليوس اسمر والمطران اغناطيوس دشتو والمطران بولس شمينا والمطران يوحنا تمرز ومار يعقوب ابراهام فخدموا الطائفة خدماً جليلة في حين ازمتها الشديدة ثم قبضوا على ناصية الامور ومالأ اتفاقهم ووحدة رأيهم ارادة الكرسي الرسولي المقدّس على الغاء قاعدة التراث وجعل المنصب البطريركي انتخابياً بتصويت مطارين الطائفة كما هي القاعدة فنجح هذا المسعى الاساسي في الاصلاح وأُلغيت تلك القاعدة التي كانت ضربة مهولة اوشكت ان تقضي على حياة هذه الطائفة المجيدة في تاريخها . وكان آخر البطاركة التراثيين البطريرك يوحنا هرمز واول البطاركة الانتخابيين البطريرك نيقولاوس زيّا سنة ١٨٣٩

ثالثاً ان كهنة هذا الدير بذلوا قصارى جهدهم في نشر مبادئ الكثلكة وتأييد تعاليمها المقدّسة وهم من خيرة الذين تمسكوا بعراها لشدّ التمسك وعضدوا روحها وتفانوا في سبيلها حينما كانت روح التعالم والتعصّب الذميم حيّة في القلوب عاملة في

العقول . فلما قام رجال هذه الرهبنة وظهروا متسلحين بالعلم والفضيلة اذعنت لهم عقول اخوانهم فساروا يعظون ويعلّمون المبادئ الكاثوليكية القويمة بين ظهراني شعبهم في العراق واثور وفي جبال الهكارية الشدّة الى وان وفي سائر القرى المجاورة وما زالوا على ذلك حتى اختبرت هذه الفكرة ورسخت الكلكة في العقول وانتشرت بسائر مبادئها الدقيقة وتعاليمها الصحيحة . فاثنى القنّاد الرسوليون في تلك الآونة على الهمّة التي بذلها هولاء الرهبان في نشر الايمان الكاثوليكي ويُرى من هذه التقارير في مجلة « السنة الدومنيكية » اورد بعضها الاب مارتن في كتابه تاريخ كلدو . والى اليوم ما زال الكهنة الرهبان اخلاف اولئك الافاضل يشغلون رسالات قرى الجبل المنقطعة الصعبة على انّ لهم في قلوب الاكراد المسلمين حرمةً جزيلة تقليديّة بحيث لا يجسر احدهم ان يمدّ عادية الى الرهبان ولا الى ما ينتمي اليهم

يكتفي اولاد ربان هرمزد المعروفون اليوم برهبان دير السيدة بمعرفة أهمّ الدروس الدينيّة وحفظ الكتاب المقدس حفظاً تامًّا والتضلع في اللغة الكلدانية والعربية ويقضون قسماً مهمًّا من نهارهم في الصلاة الحارّة ثم يهتمّون في الاشغال المتعلقة في ادارة املاك الدير من اراضٍ ومزارع وارحاء وغيرها ويبلغ واردهم السنوي مبلغاً كافياً لا يصرفون منه لمعيشتهم الا القدر اليسير اذ ان حياتهم قشفة شظفة وباقي الوارد يُصرف بسخاء حاتميّ على الفقراء من عطلة وارامل واطفال يتجمهرون كل صباح امام باب الدير فيخرج اليهم راهب بأكلهم اليومي وبلبسهم عند الحاجة . وقد امتاز الرهبان باكرام الضيوف الذين يقصدونهم جماعات من مسافرين عابرين ومن زائرين فيطعمونهم على السعة والرحب ويُحسنون قراهم ويقومون بحق الضيافة احسن قيام . وهم لا يعطون لقاء ذلك شروى نقير . وما تنتهي سنتهم الادارية الّا ويكونون قد صرفوا في سبيل ذلك واردهم السنوي

أمّا مزاياهم التي عُرفوا بها فسلامة القلب ونزاهة النفس وبساطة المعيشة وهم يتفانون في عمل الخير وينتهزون كل فرصة بمكنة لنشل المنكوبين ومساعدة المحتاجين . واليوم تؤمّل طائفة الكلدان نجاح هذا الدير وما يتعلق به من الاديرة الصغيرة بهمة الرئيس العام على لجنة الكلدان الاب الجليل القس يوسف داديشوع الجزيل الاحترام المتخرّج في المدرسة الكهنوتية البطريركية في الموصل ويؤمّلون بمساعيه نهضة علمية

واقتصادية توافق رغبة واهتمام السيد النبيل والراعي الاثيل مار عمانوئيل توما بطريرك الكلدان الكلي الطوبى في تقدم هذه الاديرة ورقيها وهو يعدّ ولاء الرهبان كابطال الامة ودعامة بنائها الراسخ المكين

المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

حرف الثاء

١٦١ ﴿ثاودورس﴾ الاسكندري . لم نقف على زمانه . له في الكتبة الناتيكانيّة (ع ٤١٢) كتاب آداب دينيّة في ٣٥ فصلاً وجّهه الى ابنه فرجالله غربال

ثاودورس اسقف حرّان (اطلب ابو قرّة)

١٦٢ ﴿ثاوفيلوس﴾ البطريرك الاسكندري المتوفّى سنة ٤١٢ م . له في مخطوطات مكتبة باريس عدّة ميامر في خميس الاسرار (Paris, 48 et 143) وعن هرب السيد المسيح الى مصر (II 135 n°) وفي مديح الرسولين بطرس وبولس وفي التوبة وفي التدبير اثناسيوس (ROC. XIV, 1909, pp. 150, n° 4771) وفي مديح الملاك ميخائيل (ib. p. 392 n° 488)

١٦٣ ﴿ثاوفيلوس﴾ اسقف فسطاط مصر . لم نجد له ذكرًا في التاريخ . ورد في احد مجاميع مواعظ وميامر في مكتبتنا الشرقيّة (ع ٦١) ميمر في فضيلة الصوم ليوم الثلثاء للسنة الاولى منه . لابينا البار ثاوفيلوس اسقف فسطاط مصر .

١٦٤ ﴿ثردي﴾ الاب ارغسطينوس المرسل اليسوعي (Aug. Tardy) المتوفّى في بيروت سنة ١٩٠٨ . له في مكتبتنا اوراق منشورة شتّى منها دينيّة ومنها علميّة . وقد نشر في مطبعتنا الكاثوليكيّة كتاب جداول الاعمال العربيّة وكتابين في الحساب مختصر (سنة ١٨٨٥) ومطوّل (١٨٩٥) مع حلّ مسائل حاوية الطلّاب